غبار الجنيات

رواية
غبار الجنيات
سارة شمس الدين
الطبعة الأولي .... مايو ٢٠١٣

الغلاف : أسامة علام
المراجعة اللغوية : محمد عبد الغفار
اخراج داخلي : إبداع للدعاية والاعلان
رقم الإيداع : ٢٠١٣/٧٦٨٨
الترقيم الدولي : 978-977-6412-23-1

الحـلم للنشر والتوزيع
٤ شارع الأشراف من شارع مؤسسة الزكاة - المرج
محمول : 01141824562
dar_el7elm@hotmail.com

سارة شمس الدين

غبار الجنيات

رواية

الحلم للنشر والتوزيع

اهداء

سلمي
وعينين كاللوزتين بل أصغر قليلا ..
انت أختي الحلوة..!

الي كل شخص إداني في يوم ودنه وشجعني ..
أسرتي ،أصحابي ..
الكاتب الكبير أ: شريف شوقي

سارة

سجادة كاشانية افترشت الأرض وسط جو خانق سببته رائحة بخور لا تعلم مصدرها، ضوء أحمر جعل الرؤية متعثرة، ، وقفتها متصلبة مخيفة وشعرها الغجري يرقص حولها في جنون..

همست من وراء بلوراتها المستديرة بصوت كالفحيح :

- ماذا تريدين ؟

ابتلعت ريقها بصعوبة دون أن تنبث ببنت شفة .. هل حقا هذا وجهها المُطِل من زجاج البلورة ؟!

شاورَت لها من بعيد على ذلك الرف الذي استقرت عليه قارورة ذهبية اللون.

ضحكتها الرقيعة دوَّت في المكان فاهتزت الأركان علي أثرها :

- تقصدين غبار الجنيات ؟! .. فلتأخذي حذركِ يا ست البنات !

تناولت من يدها القارورة بحذر ثم انطلقت وأنفاسها المتلاحقة تسبقها ثم توقفت، نظرت للقارورة الذهبية في تمني وقالت:

وأخيرا .. غبار الجنيات .. آمل أنك ستحقق لي كل ما أريد ..!

***

كانت فريدة وقتها في العشرين من عمرها.. هذه السن الناعمة التي تتحول فيها الصغيرة إلى فتاة ناضجة ، وتتحول فيها الضفيرة إلى قَصّة شعر كيرلي .. هذه السن التي يحق فيها لكل فتاة أن تغلق باب غرفتها بالمزلاج دون أن يسألها أحد عن السبب، ويجب وقتها على كل من بالمنزل الاستئذان قبل الدخول إلى غرفتها الخاصة .. هذه الأوقات التي تبدأ فيها بشراء أقلام الكحل الأسود لتكحل عينيها دون أن يضحك عليها أحد.

أيام المراهقة التي تتعلم الفتاة فيها سماع أغاني عبد الحليم حافظ وتعاني حالات الشرود في اللاشيء، كما قالت شادية :

(أبويا يعوز فنجان قهوة

أعمله الشاي واسقيه لامي

وخيالك ييجي على سهوة

مافرقش بين خالتي وعمي)

إنها السن الأولي التي تعرف فيها الفتاة معنا للحب .

وهي لا تختلف كثيرا عن أيَّة فتاة أخرى فبعض التقاسيم والضحكات والغمازتين والطرحة البيضاء هي سمات فريدة الفريدة .

كما أنها من مواليد برج السرطان.. وكما تعرفون فإن مواليد برج السرطان غالبا ما يكونون حالمون إلى أبعد الحدود.. تعشق أغاني العندليب وأم كلثوم.. التحقت بالمدرسة متأخرة؛ لذلك فهي تخطو أولى خطواتها في المجتمع الجامعيّ وهي علي مشارف العشرين ، تعشق اللغة الإنجليزية حيث «ويتني هيوستن» تغني:

I will always love you

حيث روايات الأدب العالمية التي أدمنت قراءتها :

David copperfildو Romeo and Julit

حيث قواعد اللغة البسيطة من ماضٍ ومضارع تنقلك لعوالم أخرى وكأنك تتحدث عن أشياء غريبة .

لذا فقد التحقت بكلية الآداب وتخصصت في اللغة الإنجليزية، كما أنها ناضجة بما يكفي لتحكم على الأشياء، واثقة كل الثقة في قدراتها.. معلوماتها.. وجمالها طبعا الذي لا يخفى على أحد.. ودوما كانت مقتنعة أن لها نصيبا من اسمها.. باختصار: هي فريدة !

الفصل الأول

«أجملُ ما يحدثُ لنا لا نَعثرُ عليه..
بلْ نْتعثرُ بهِ»!

أحلام مستغانمي

فتاة في العشرين من عمرها ترتدي سروالا رماديا وقميصا وردي اللون، متشبثة بدفترها الجامعي كأنه سيهرب منها ويدها الأخرى ممسكة بذلك الكرسي البالي حتى لا تقع، فمها يتحرك بتمتمات غريبة غير مفهومة ،.. تلوم نفسها والسائق الأهوج والحافلة الخربة والحكومة التي لا تصلح الطريق ابدا والدكتورة التي جعلت موعد المحاضرة في وقت يخرج الكل فيه من أشغاله، تقف على قدم واحدة كالبط من شدة الزحام والتعب، وفي أثناء تبديلها لقدمها إذا بقدمها المرفوعة ليس لها مكان تهبط فيه، فشخص آخر احتل المكان للأسف.

يتكرر العذاب وأخيرا ينتهي بمجيئ محطتها.

نزلت فريدة من الحافلة بصعوبة محاولة إصلاح هيئتها التي اختلفت كثيرا عن وقت نزولها من المنزل، على الرغم من أن فعل النزول واحد لكن شتان بين النزول من المنزل والنزول من الحافلة.

اتجهت إلى الجامعة بخطوات متوترة، تارة تتحرك إلى الأمام، وتارة تتراجع خطوتين، وتلك الساعة الكبيرة تدق مُحدِثة صوتا محببا إلى نفسها وكأنها تنطق:

«أهلا بكِ في جامعة القاهرة».

لطالما قال لها والدها: «جامعة من غير ساعة زي ساعة جامعة القاهرة ما تبقاش جامعة يا فريدة».

مع كل دقة من دقاتها التى تمتزج مع قلبها تزداد حماسا ويتلاشى التوتر شيئا فشيئا.

اتجهت إلى قسم اللغة الإنجليزية وهناك تقابلت مع صديقتيها هدى وآية.

كان ثلاثتهن كوكتيل بنات، يختلفن عن بعضهن كثيرا؛ فـ(هدى) مثال للهدوء ..تكاد لا تسمع لها صوتا ، أما (آية) فهي التجسيد الحرفي لمعنى كلمة ضوضاء ؛ لا تصمت أبدا، أما (فريدة) فوجهها بشوش وابتسامتها رفيقتها دائما لا تفارقها أبدا .

تعرَّفن سريعا ومن يومها صرن صديقات، ومع الوقت (طبّعن) على بعضهن فلا تستطيع أن تميز هل هذه ضحكة «هدى» أم صوت «فريدة» أم ابتسامة (آية)!

تعرّفن تلك التعارفات السريعة التي تفرضها عليك الصدفة..

جدول المحاضرات.. لا يوجد مع (فريدة) قلم، وهُنا حدث التعارف.

تستطيع القول إن ما جمعهن كان (قلم رصاص) تآكلت ممحاته..!

الساعة الواحدة والربع. العرق يتسابق على جباههن، وأقدامهن تخطو خطوات سريعة .. فقد تأخرن والمحاضرة تبدأ في تمام الواحدة.. يا إلهي..!

(هدى):

- اهدأي قليلا.

(آية):

- أنا الآن لا أطيقك ولا أطيق هدوءك.

(فريدة):

- أنا أيضا، تشرب البيبسي في ربع ساعة.!

(هدى):

- فلنقف قليلا.. دعاني ألتقط أنفاسي.

(آية):

- على أي حال سنتوقف؛ فالمحاضَرة هنا.

حملقت فريدة بالباب قبل أن تبادرهن بالسؤال : من سيقرع الباب ؟

قالت آية في هدوء وثقة : طبعا أنتِ .. انت ذا وجه بشوش ..لن يستطيع أحد إحراجك.. توكلي علي الله واطرقي الباب..!

«هدى»: توكلي على الله.

ابتلعت فريدة ريقها بصعوبة وترقب وطرقت الباب في خفوت ..

(ادخل)..

فتحت الباب ليرمقهن الدكتور بنظرة فاحصة..

انه دكتور أدهم .. مدرس مادة الأدب الانجليزي ..فارع الطول .. يرتدي بنطلونا أسودا وقميصا أبيضا يبرز بشرته الخمرية أكثر، مدَّ كفه ليخلع نظارته عن عينيه في عصبية كما تقوست شفتاه في امتعاض..

وقال في حدة :

- يا آنسة.. كم الساعة الآن؟

تمتمت آية:

- فريدة أجيبي ماذا حدث لكِ ؟ سوف يطردنا جميعا بسببكِ.

قالت هدى :

- نعتذر يا دكتور.

رمقها بنظرة متجهمة :

- أنا أسأل زميلتكِ ..

والتفت لفريدة يكرر :

- كم الساعة الآن في يدك ؟

ردت فريدة في ارتباك:

- ليس معي ساعة.

مط دكتور ادهم شفتيه في امتعاض :

- ليست الإجابة الصحيحة للأسف.. عندما تمتلكين ساعة وتلتزمين في مواعيدك احضري محاضرتي!

اعتذرت فريدة والتفتت متجهة للخارج مغلقة خلفها الباب ..

***

صمتٌ جمعَ بين ثلاثتهن قبل أن تقطعه (هدى).

(هدى):

- آسفة.. أنا السبب في ما حدث.

ردت آية :

- لا عليكِ.. لكن ما العمل الآن ؟

قالت فريدة :

- سأذهب إلى دكتور أدهم وأعتذر له، أنا التي تسببت في المشكلة.

وهمست:

- لا أملك ساعة.. ؟! أية إجابة حمقاء هذه ؟!

لماذا انعقد لساني وارتبكت إلى هذا الحد ؟ كم أنا غبية !

آية:

- ماذا تقولين ؟

التفتت اليها فريدة :

- لا شيء.. لا شيء.

انتظرنَ ساعتين مليئتين بالتوتر.

هدى:

- لا أصدق طردنا في أول محاضرة لنا!

آية:

- والله شيء مضحك.. هههههههه.

فريدة:

- تصدقي مضحك فعلا.

وانفجرن ضحكًا.

قالت آية:

- هل لي بسؤال يا فريدة ؟

- تفضلي.

- لماذا أجبتِ تلك الإجابة الحمقاء؟

أمنت هدى علي كلامها :

- آه ووجهكِ تلون بلون الطماطم.

فتنهدت آية قائلة :

- إنه الحب، (فريدة) و(دكتور أدهم).

قالت فريدة في غيظ :

- هل تكفّا عن هذه السخافات ووقفت منصرفة باتجاه الدور العلوي حيث تقبع غرف الأساتذة.

وقفت لتسترد أنفاسها ببطء، وحاولت أن توقِف تلك الأفكار السلبية التي لعبت بعقلها.

طرقت الباب، وعندما سمعت صوته الذي اعتادت أذنها عليه ، وكأنها تعرف صاحب الصوت منذ زمن بعيد.

تقدمت فريدة خطوتين داخل الغرفة وتكلمت بلا توقف: دكتور أدهم.. أنا آسفة، لم أقصد أبدا أن أتأخر أنا وزميلتاي، إنني أعشق الإنجليزية وأتمنى أن تسامحني.. أقصد أن تسامحنا، فسوف نكون من الملتزمين.. أعِدُك.

كانت تتكلم بسرعة رهيبة نجمت عن توترها الزائد واحمرار وجنتيها الذي أضفى على ملامحها انعكاسا جميلا، ما زادها حُسنا!

ولم تجد ردا!

نظرت إليه فوجدته ينظر إليها باسما.

سألها: ما اسمُكِ؟

أجابت فريدة بتوتر:

- لماذا؟

- هل أنتِ دائما هكذا لا تقدمين إجابات صحيحة ؟

تلعثمت :

- آسفة، أنا اسمي فريدة .

ابتسم ابتسامة خفيفة وأردف :

- حسنا يا آنسة فريدة، سوف أسامحكِ هذه المرة، وعليكِ في المرة المقبلة أن تلتزمي بمواعيدك ولا تنسي أن ترتدي ساعة..!

ابتسمت في خجل

- شكرا دكتور ادهم ، سوف أفعل.

انصرف عنها ليتناول الجريدة من علي مكتبه في لامبالاة.

فانصرفت هي في هدوء..!

الفصل الثاني

ما زلتِ في فن المحبة طفلة بيني وبينك أبحر وجبال
لم تستطيعي بعدُ أن تتفهمي أن الرجال جميعهم أطفال
فإذا وقفت أمام حصنكِ صامتا فالصمت في حرم الجمال جمال
كلماتنا في الحب تقتل حُبنا.. إن الحروف تموت حين تقال

إلى تلميذة

نزار قباني

واثق الخطوة، قوي الحضور، يمسك بزمام الكلمات؛ فالكلمة وراء الكلمة لا تتسابقان أبدا، أنيق فلا تجده يرتدي ألوانا غير متناسقة ولا يمكن أن تصفه أبدا بأنه يعاني عمى ألوان، محبوب من الطلبة جميعا.

فهو أستاذ في مادة الأدب الإنجليزي واللباقة أيضا ..

هذا هو دكتور أدهم..!

وعلمت فريدة فيما بعد أنه قد تخير من بين الروايات العالمية رواية (pride and prejudice) كمنهج مقرر عليهم ولمن لا يعرف تلك الرواية (كبرياء وتحامل) فهي للكاتبة العالمية جين أوستن، وقد أنتِج منها فيلم تناول قصتها، وتتناول تلك الرواية قصة حب كلاسيكية من القرن الثامن عشر، حيث يعيش الأخوات(بينيت) ومن بينهم الأخت (إليزابيث) بطلة الرواية، وقد نشأت هذه الأسرة على هدف واحد، هو إيجاد أزواج مناسبين لفتياتها..!

وعندما تنتقل أسرة السيد(بينلي) للعيش في المنزل المجاور لهن تُسبِب الفوضى في حياة الأخوات (بينيت) بسبب حلقة أصدقائه العزاب ومن ضمنهم السيد (دارسي).

وبطلا الرواية هما السيد (دارسي) و(إليزابيث) الجميلة التي تقع في حب السيد (دارسي).. وتتوالى الأحداث بينهم..!

* * *

كان دكتور أدهم يقف على عتبة منزلنا يسألني في ثقة كعادته أن يدخل، أتأمل ملامحه غير مصدقة.

- نعم تفضل.

تتشبث أناملي في باب المنزل، وبسرعة تتحرك يداي لتفرد الشال الأبيض من على كتفي فيتخلص من طياته.

يدلف في خطوات ثابتة إلى داخل المنزل وينظر لي بثقة ويقول:

- أنتِ صغيرة يا فريدة.. ليست لديكِ خبرات كافية بالحياة..!

كفي عن التفكير بي وتخلصي من أحلامكِ الوهمية..!

أستيقظت فريدة..!

- يا إلهي.. وها قد بدأت الأحلام..!

لا وينصحني أيضا أن أكف عن التفكير به..!!

***

جلست فريدة بجوار هدى وآية في المقعد الأمامي مرتدية حجابا زيتونيا يليق ببشرتها الخمرية، كحلت عينيها بالكحل الأخضر فتحسب أن عينيها نبتة من نبات الجنة..! وارتدت ساعة فضية اللون تُزين يدها وتعكس نور الشمس المطل من النافذة جوارها، ممسكة القلم ومنتظرة.

إنها الواحدة إلا عشر دقائق، وقد بالغ الثلاثي في القدوم مبكرا،حتي لا يتكرر ما حدث في المرة الماضية..!

نوت فريدة بينها وبين نفسها ألا تقع في هذا الخطأ مرة أخرى وأن تتصنع اللامبالاة، إنه أستاذها فحسب، فأخذت بلا وعي في تركيب (الوجه الخشب) وكأنها تحاسبه على أنه أتاها في حلمها .

استرعي ذلك انتباه آية التي قالت لها :

- فريدة - بتكشيرة - لقد انطبقت السماء على الأرض..!

كان هذا كافيا لتنكشف التكشيرة عن ملامحها ويعود اليها وجهها البشوش.

دخل دكتور أدهم القاعة فساد الهدوء، فأمام نظراته الثاقبة والـ«إحم إحم» المعتادة لا يملكون سوى الصمت وإلقاء آخر حروفهم التي توشك أن تودي بهم إلى الطرد.

مرر بصره يتفحصهم واحدا واحدا، حتى وقعت عيناه عليها فابتسم، وبالطبع لاحظ تلك الساعة الفضية التي ارتبكت عقاربها من جرَّاء نظراته.

قال دكتور أدهم مُرحِّبا بالجميع:

- أتمنى أن تكونوا على استعداد للبدء، مادتنا سهلة وبسيطة، والرواية التي سنتناولها معًا من الروايات الممتعة التي تقرؤها عدة مرات ولا تمل منها أبدا:

- (Pride and prejudice)

وشرع في الشرح..

لا أعلم هل أحبت الرواية لأنها رائعة أم لأنه يلقيها على مسامعها بصوته الذي نقلها إلى القرن الثامن عشر، صوته الذي جعلها ترتدي واحدا من تلك الفساتين المبالَغ في زخرفتها والتي تزِن عدة أرطال، ذوات الأكمام الطويلة المنتهية بـ داتنيل أبيض، وترفع شعرها إلى أعلى في (كحكة) كاملة الاستدارة، وذلك البرود الإنجليزي يسيطر على قسمات وجهها.

السيد (دارسي) الأنيق يذهب إلى الحفلة الراقصة وهناك يلتقي الأخوات (بينيت) وتلفت نظره (إليزابيث) بجمالها الأخَّاذ، يرقص معها على إيقاع لم يسمعا منه شيئا وسط مناقشاتهما.

وجدت (إليزابيث) في السيد (دارسي) صفة الغرور ولم تعترف أنها قد أُخِذت بشخصيته القوية الطاغية على كل الموجودين.

قالت آية :

- فريدة .. أين ذهبتِ ؟

هزت فريدة كتفها :

- لم أذهب إلى أي مكان.. أنا هُنا.

صمتتا بنظرة غاضبة من (دكتور أدهم) :

- آنسة فريدة.. فلتقرئي حتى نهاية صفحة ٦.

وقفت ودفنت عينيها بين سطور الرواية وشرعت في القراءة بصوت خفيض خجول حتى اندمجت مع الأحداث فأخذ صوتها يعلو شيئا فشيئا، وأخذت تتحدث بلسان (إليزابيث) وانتقلت من حدث إلى آخر حتى انتهت الصفحات المقررة عليها قراءتها فالتزمت الصمت.

- أحسنتِ .

- شكرا .

انتهت المحاضرة، وفريدة تحلّق من سعادتها الشديدة لولا أن السماء لن تسع أجنحتها الملائكية.

ليلتها لم تنَم وكأنه (هو) يترك كل شيء في يده ويمشي على أطراف أنامله حتى لا يزعج أهل منزلها، ويأتي على بالها ويذكرها به، تراه في كل شيء، تضحك كثيرا على أشياء لا تُضحِك بالمرة، لقد لاحظت لمعان عينيه عندما ابتسمت له، اختياره لها من بين هؤلاء الطلاب كلهم لكي تقرأ حتى تتوقف أذناه عن الإلحاح في طلب سماع صوتها..

إنها تشتاقه وتعلم أنه يشتاقها أيضا.

بعد أسبوعين من المداومة على حضور المحاضرات والذهاب إلى الجامعة، باتت حالتها محيرة ؛ فقد أصبحت نافذة غرفتها هي بيتها الأول والأخير، النجوم التي تحفظ الأسرار أُرهِقت من كثرة أسرارها، وقد وقع القمر في هوى الخمرية التي تجلس كل ليلة محدقة به تتكلم عن فارس أحلامها الذي يتحدث الإنجليزية بطلاقة ويجبرها في كل لحظة على الابتسام!

.. أصابها الهواء البارد الذي يتعمد الاصطدام بوجنتيها الورديتين بالبرد الشديد فألزمها الفراش ليومين تغيبت فيهما عن محاضرة الأدب الإنجليزي وحرمت عيناها من رؤية عينيه.

تُرى هل سيلاحظ غيابها..؟

هل سيسأل عنها..؟

السؤال الأهم: هل سيفتقدها؟! هل سيشعر بذلك الفراغ الذي لا يمكن أن يملأه غير صوتها مثلما هي تشعر الآن..؟!

رنين الهاتف يدوي بجوارها وفي الحُلم يماثله جرس باب منزلها يرن ويرن حتى استيقظت..!

تناولت الهاتف بين أناملها الرقيقة وعيناها لم تصحوا بعد، فما زالت آثار

النوم ظاهرة على جفنيها حتى انتشلها الرنين المتواصل من عالم الأحلام.
- ألو.
- أهلا.. معي الآنسة فريدة..؟
يا إلهي إنه صوته..!
- نعم أنا فريدة.
- هل أيقظتك من النوم..؟ آسف جدا.
- لا لا، لقد كنت مستيقظة.. أهلا بك يا دكتور.
- لقد سألت اليوم عنكِ وأصابني القلق الشديد من غيابكِ ..!
- نعم ..؟
- أقصد ..آآآ .. أنتِ لم تتغيبي عن محاضرتي من قبل..!
- آسفة يا دكتور أدهم، أنا مريضة..!
- سلامتك يا فريدة.
- الله يسلمك .. شكرا يا دكتور.
- آمل أن يتم شفاؤك قريبا بإذن الله لتنتظمي في حضور المحاضرات من جديد.
- بإذن الله، شكرا على سؤال حضرتك.
- عفوا فهذا واجب.. مع السلامة .
- مع السلامة يا أ... يا «دكتور أدهم.
هل اتصل بها حقا ليسألها لماذا تغيبت عن الحضور؟! هل أصابه القلق عليها؟! هل لاحظ الفراغ الذي بداخله عندما لم تأتِ؟! هل اشتاقها؟!
فيما بعد علمت من آية كل شيء:
لقد دخل المحاضرة كعادته أنيقا، وبالطبع جميعنا اعتدنا على أناقته الشديدة، تفحص وجوهنا واستقر على مكانكِ الذي يقع بيني وبين

(هدى) فتغيرت ملامحه وأصبح شديد العصبية على الرغم من أنه لم يظهِر عصبيته هذه من قبل! وشرع يشرح كما يقولون هكذا (بلا روح) فالكلمة يلفظها وكأنه سعيد بالتخلص منها وعيناه لا تفارقان الباب؛ فكلما طرق أحدهم الباب ابتسم وعندما يرى الطارق ويعلم أنه أحد آخر غير الذي ينتظره يرتبك وتغزوه العصبية، لقد طرد يا (فريدة) خمسة طلاب تأخروا، لم يتأخروا كثيرا؛ فقد تراوح تأخرهم بين ـ خمس وعشر دقائق، وقام أحدهم ليقرأ فشرع يؤنبه أنه بلا إحساس وأنه لا يجيد القراءة، فعليه أن يمتزج مع سطور الرواية فيقرأ بأحاسيس البطل ويشعر بما يشعر به.

باختصار لقد كانت محاضرة سيئة للغاية!.

قالت آية ممازحة:

- ماذا فعلتِ في دكتور أدهم ؟

قالت فريدة بتوتر:

- لقد اتصل بي أمس ..!!

- أتى برقم هاتفك بالطبع من إحدي زميلاتنا..! إنه معجب بكِ يا فريدة ، إنه شيء واضح وضوح الشمس، والبَلْهاء فقط هي التي لا تلاحظ هذا الاهتمام كله.. أتعلمين عندما قرأتِ الرواية في المرة الماضية وكأنه لم يشعر بنا مطلقا..؟ لقد أعطاكِ كامل تركيزه، فإذا وقفتِ لتستردي أنفاسكِ توقف هو ليسترد أنفاسه وعندما ابتسمتِ حين ابتسمت بطلة الرواية ابتسم هو الآخر..!

وأعتقد أن صديقتي الجميلة تشعر بما يشعر به أستاذنا العزيز.. إنكِ معجبة به من قمة رأسك حتى أظافرك النحيلة المغطاة بالطلاء الورديّ، لا أعلم كيف ستنتهي هذه العاطفة المتأججة.. فليجعل الله مصيركم كمصير

(إليزابيث) والسيد (دارسي).

***

يوم آخر ومحاضرة أخرى إلا أن الحماس الذي كان يشعل شموسا بداخلهم قد خفُت كثيرا، فالشتاء القارس يفرد أجنحته ويتخلل عظامهم فتئن شاكية..

اعتاد (الصف الأمامي) أن تحتله فريدة وزميلاتها، حتى إنه قد سمح لفريدة أن تنقش اسمها عليه في مقابل أن يقتات من فتات كعكة آية المحلاة بالسكر، ويستمتع بصوت هدى الملائكيّ.

عندما دخل دكتور أدهم بمعطفه الشتوي الأسود لاحظ أن حماسهم قد قلّ كثيرا عن أول أيام الدراسة، فمنهم من يسند رأسه على كفه ومنهم من يتصنع النوم على – البنش-.. حتى فريدة شاردة ببصرها مع تلك العصفورة التي حطت أمام النافذة..!

فقرر أن يعيد إليهم نشاطهم..

- لاحظت اليوم أنكم يائسون، وتساءلت : كيف يكون طلابي يائسين هكذا..؟!

قالها بشكل مضحك فضحك الجميع..!

اليوم ستكون المحاضرة مميزة، سوف نلعب معا لعبة، موافقون؟

قال الجميع: موافقون يا دكتور.

إذًا إليكم اللعبة.. تجمعوا أمامي هُنا، سنجتمع لتأليف قصة بالإنجليزية وكل واحد منا سيصوغ حدثا من أحداثها، سنصنع للقصة بطلا وبطلة، وشرط اللعبة أن من يجيء عليه الدور ليقول جملته المشارك بها في القصة يقولها بإنجليزية صحيحة القواعد وبسرعة، وإلا خرج من اللعبة، سنبدأ بي ثم فريدة الجالسة في المقعد الأمامي هنا ثم زميلتها بجوارها وهكذا..

هيا لنبدأ..

بدأ الدكتور أدهم بالجملة الأولي وهو ينظر الي فريدة قائلا :

- هي خمرية بعينين واسعتين بنيتي اللون!

فابتسمت فريدة في خجل قائلة :

- وهو فارع الطول يشاركها خمرية وجهها!

فقال أدهم في تحد لنظرتها

- وقعا في الحب من النظرة الأولى.

فتلعثمت فريدة :

- أآ..وو.....

ضحك الجميع..

- فلتخرجي من اللعبة.. أكملوا القصة، ولتسرعوا!

- فلقد اعتادا أن ينظرا لبعضهما البعض.

- لغة العيون عندهم كانت أبلغ من لغة الكلمات.

- انتظرته أن يقول لها «أحبك» إلا أنه لم يفعل.

- وعندما لاحظ أنها استسلمت لحزنها قرر أن يصارحها بحبه فنظر إليها جاء الدور علي أدهم فقال:

- أحبك يا ذات الوجه الملائكي..! فريدة.. إنه دورِكِ.

فأجابت فريدة متلعثمة:

- دعني أفكر!

تعالت الضحكات.

وتوالت أحداث القصة بإنجليزية حاول الجميع أن يجعلها خالية من الأخطاء اللغوية وصحيحة من ناحيتي القواعد والأزمنة.

وعاد النشاط للجميع حتى انتهى وقت المحاضرة.

(أحبك يا ذات الوجه الملائكي!)

ما زالت تسمعه يرددها، وعلى الرغم من سعادتها الشديدة وحمرة خديها التي باتت مستديمة فقد كانت غاضبة بحق منه، كيف يفعل ذلك..؟ إن الجميع باتوا يتحدثون عنها ويتلامزون ويتغامزون كلما مرت هنا أو هناك.. :

- إنها (فريدة) التي سلبت (دكتور أدهم) عقله.

سمعت أحدهم ذات يوم يمنع فتاة من الجلوس في مقعدها الأمامي قائلا:

- إن الصف الأمامي محجوز لفتاة أدهم!.

- فتاة أدهم!

- هل أصبحت فتاته الآن؟!

الكل يحسدها على ذلك اللقب الذي ما كان لها أبدا يدا في اكتسابه!

باتت العيون مسلطة عليها، إنها الفتاة التي قامت بقفزة كبيرة في سباق العاطفة فتعدت مرحلة الوقوع في هوى المراهق الذي يقع الجميع فيه، الولد الجامعي الذي يقف شعره مثل – إيريال- التلفاز ويتغنى بأغاني الهضبة عمرو دياب ليسلب النوم من عين كل فتاة يقابلها في طريقه.. وذهبت مباشرة إلى الناضج الرزين.. الدكتور الجامعي الذي يُعلِق بجانب اسمه (أنا صعب المنال).

الجميع ينظر إليها على أنها الفتاة الوحيدة التي ذهبت إلى آخر مراحل لعبة – ماريو- الشهيرة وصارعت الوحش ثم عادت للمراحل الأولى لتأكل النبتة وتكبر وتكبر.

الفصل الثالث

هاميس.. آتون يتكلم..
عودي إلى آتون..
لكن بحق رحمتك دعني..
عودي يا هاميس..
إني أحب!

من فيلم عروس النيل

- سبعة أيام يا فريدة.
- نعم يا آية ، أسبوع بالتمام والكمال.
- أوافق والدكِ..؟
- أنا لا أصدق أصلا أنه وافق.
- الأقصر وأسوان رحلة رائعة.
- أعلم ذلك.. هل سيوافق والدكِ؟
- لا أعلم.. وهدى..؟
- لقد وافقت والدتها.
- مدهش!
- اذهبي لتقنعي أهلكِ إذن.
- حسنا.. مع السلامة.
- موفقة إن شاء الله، مع السلامة.

بعد أيام من المناقشات ومحاولاتهن الخرقاء لجمع قيمة اشتراك الرحلة، كانت هدى تنقصها ٥٠ جنيها وفريدة معها ٢٠ جنيها لا تحتاجها، أما آية فأعطتها المتبقي من المبلغ، مازحة :

- إن عليكِ أن تكتبي لي شيكا على بياض.

بعد حصولهن على استمارة الاشتراك كانت جميع أحاديثهن عن الرحلة ، ماذا سيحضرن معهن ؟ تُري ما الملابس الملائمة ؟ كيف سنعوض ما سيفوتنا من محاضرات ؟ هل علينا تقديم الاعتذار لدكتور كل مادة ؟ واستقر الوضع على تقديم الاعتذار لكل دكتور .

***

صافرة القطار تصم الآذان، وحقائب السفر الكبيرة التي تعبت من حمولتها تتخبط ببعضها متسائلة : - أين الوجهة ؟ وفلانة سيفوتها القطار، والأخرى نسيت هاتفها.. !

قالت فريدة:

- إن ضللنا الطريق في محطة القطار ماذا سنفعل هناك؟!

قالت «آية» ضاحكة:

- وجهة نظر بردوا .

فقالت هدى بقلق:

- سنضل الطريق هناك بالطبع.. أنا على يقين من ذلك.

قالت آية بهدوء:

- اهدئي قليلا يا هدى.. لا تقلقي.

مثلت لها فريدة :

- شهيق.. زفير..شهيق ..زفير .

- ها هل تحسنتِ؟

- الحمد لله.

فهمت فريدة قائلة : فلنذهب إذًا.

اثنتا عشرة ساعة بالقطار... وذلك الدخان الضبابي يتصاعد من مقدمة القطار مختلطا برائحة الرحيل، رائحة السفر.. وعلى الرصيف أكياس الحلوى تعكس ضياء يسيل له اللعاب منادية المسافرين بصوت عالٍ، محاولة أن يعلو على صوت صافرته المزعجة بشدة.

بعد ساعة من ضوضاء القطار المليئة بالشجارات التي لا لزوم لها مطلقا والأسئلة السخيفة..

- أين حقيبتي؟

- لا أعلم.

- يا إلهي.. لقد نسيتها على الرصيف!

وبعد انتهاء هذا كله واستقرار كل واحدة فيهن في مقعدها.

بدأ جو المرح يفرد أشرعته .

احتلت أوراق الكوتشينة أرض المقصورة وتناثرت عليهم الأحكام المسلية مثل الصراخ من نافذة القطار (أنا أحب فلانا)، وغناء أغاني فيلم (غرام في الكرنك) ومحاولة تقليد الوسيم محمود رضا..

(خدنا القطر يوم من مصر في ساعة عصر لما وصلنا في آخر الليل)..

وتعالت الضحكات.. حتي تراخت جفونهن بعد جو من المرح استمر لساعات في القطار وخيم الصمت علي المكان .

بعد قليل من الصمت والتراخي صرخت آية في خفوت :

- فريدة.. استيقظي.
- ماذا؟
- إنه هنا.
- من ؟ أين أنا ؟

قالت آية في سخرية :

- في القطار أيتها البلهاء وهو أيضا.
- من؟

قالت آية وقد اتسعت عيونها دهشة :

- دكتور أدهم.

صرخت فريدة في دهشة مباغتة :

- ماذا.. مين ؟

قالتها بصوت بالغ في ارتفاعه فالتفت إليها الجميع.

فقالت آية ضاحكة :

- فلتنظروا بعيدا.. انتهى العرض، إنها مجنونة فحسب والدكتور في الطريق إليها !

كررت آية الكلام علي مسامع فريدة :

- دكتور أدهم هُنا.

«هدأت فريدة وقالت :

- وماذا يفعل هنا ؟

قالت آية :

- إنه مشرف على طالبات كلية الآداب في أثناء الرحلة.

قالت فريدة :

- كيف لم نعلَم بذلك؟

- علمت من الفتيات أن الدكتور يوسف قد اعتذر في اللحظة الأخيرة عن عدم الإشراف، فجاء بديلا له دكتور أدهم، أنتِ سعيدة، أليس كذلك..؟

قالت فريدة محاولة صرف اهتمامها بعيدا :

- لا فارق عندي.. يأتي هو أو غيره.

- أتعلمين يافريدة ؟!

- ماذا؟

- أنتِ كاذبة!

ابتسمت فريدة في خفوت وعندما عاد الصمت لم تستطِع أن تغمض عينيها الواسعتين.

كيف ستقضي أسبوعا كاملا وهو معها؟!

يطل هو وشمس كل صباح ليوقظاها معلنين بدء اليوم، سيراها عندما

تتشاجر مع «هدى» مغتاظة من برودها وعندما تجري وراء آية في شقاوة، سيراها.. يشرد ذهنها مع كليوباترا عندما ترى إيزيس فتكرر قصيدة إيزيس لهشام الجخ.. إنه يراها من بعيد ويبتسم:

إيزيس..

إزاي بتتحمّل؟!

أنساها.. وتجيني..

أسقي بنات الدنيا إلاها

ولما العطش يكويني ألقاها

هي اللي تسقيني

تهديني يوم وردة

أدِّيها لفلانة

تجري على حضني أحكيلها عن نانا

إيزيس.. إزاي بتتحمل؟!

سيضبط ضي النيل عندما يعاكس ضي عينيها ويحاول أن يقنعها أنها عروس النيل التي ينتظرها منذ زمن بعيد، وسيرى ذلك النوبي يتناول كفها برقة لنقش الحناء السوداء عليها ويختار من بين النقوش أطول نقش لكي يطيل مدة إمساكه بكفها!

كيف؟!

ظلت تساؤلات «فريدة» بلا إجابة حتى أعلن القطار وصياح الطالبات بمرح مبالغ فيه أنهم قد وصلوا إلى وجهتهم المنشودة..

وعندما خَطَت أولى خطواتها على رصيف المحطة وجدته أمام عينيها، إنها لا تصدق وتلك الشمس تمر بدلال على وجهه فتكسو وجهه نورا يأخذ الأنفاس.

- دكتور أدهم.
- فريدة.. أهلا وسهلا.
- هل استمتعت بالسفر؟
- للغاية.. وأنتم؟
- حمدا لله، إن السفر بالقطار متعة لن تعرفها طائرة بجناحين أو حافلة مكيفة.

وتعالت ضحكاتهم!

آية و«فريدة»: مع السلامة يا دكتور.

كادت «آية» تنطق لولا أن أسكتتها «فريدة».

«فريدة»: أين «هدى»؟

آية:

- يا إلهي.. نسيناها في القطار!

تنهدت فريدة :

- إنها خلفكِ، يا رب صبرنا على هذا البرود!

بعد الوصول إلى مكان إقامتهم وفتح حقائبهم الكبيرة وإزاحة تعب السفر عن ملامحهم، استعدوا لأول نزهة لهم في الأقصر الرائعة.

رحلة نيلية عند غروب الشمس تتجه بهم إلى جزيرة تسمى (جزيرة الموز) التي اشتهرت بشجر الموز الأصفر والموز الذي يختلف مذاقه كثيرا عن أي موز، عندما تتذوقه يخيل إليك أنه محلى بالعسل!

عند الغروب عندما يخفت ضوء الشمس ولا يستطيع أن يسطع أكثر من ذلك ..من فرط إجهاده يغفو مستسلما لسنة النوم الحلوة، والمركب بشراعه الأبيض الطويل ورذاذ الماء المتطاير حولهم مسببا نوعا من أنواع الانتعاش، المركب المكتظ جدا بالطالبات والأساتذة وذلك المراكبي الأسمر

يغني بصوت شجي فتتخيل أن الشمس تسترق السمع لأغانيه وتخفت من ضوئها قليلا ليناسب تلك الأغنية الشجية والجو الشاعريّ.
وهو ينظر لها وكأنه يلتقط لها صورا بعينيه، فعندما تضحك يضحك.. وعندما تشرد يشرد هو بين تقاسيم وجهها، ثم يضل طريقه فلا يجد لنفسه ملجأ فيشيح ببصره بعيدا!
جزيرة الموز وصوت أزيز حشرات الحقل..
كليك..
فريدة تحاول تسلق شجر الموز..
كليك..
آية تقبل الموزة..
كليك..
هدى ووراءها زرع أخضر يقف في خيلاء.
قالت آية مداعبة :
- يا إلهي.. وكأنه قد أتى من القاهرة فقط لينظر إليكِ!
قالت هدى بهيام:
- لا يستطيع الابتعاد عنكِ.. يا للرومانسية!
قالت فريدة ضاحكة:
- هذا تأثير الموز بالتأكيد.. ثم إنه من الطبيعي أن ينظر لي الجميع؛ فجمالي مربك يا بنات!
تساءلت آية في سخرية :
- إنه تأثير الموز بالتأكيد.. سأقتلك يا فيري.
ضحكت هدى:
- مجانين.

كان صوت الطالبات يدوي من خلفهن.

«يهجرني قال ويقول معلشي.. أورى للناس إزاي وشي يا صحبجية!»..

حتى تعلن الساعة أن الوقت قد انتهى للأسف، لكنها تعدهم بأيام أجمل وأجمل.

توالت الأيام ولم يجدوا حتى وقتا للنوم من كثرة النزهات.. من هذا المعبد للمعبد الآخر والأسواق التي أقسمت أن تبتاعهم أجمل التذكارات مقابل بضعة جنيهات.. تمثال نفتاري، الشكمجية لتضعي فيها حُليك اللؤلؤية يا آنسة، الكركديه، وذلك الخلخال ذو العملات الذهبية كلما قررت أن تخطو خطوتين يرن ويرن غير عابئ بالعيون المحدقة.

وجاء يوم السفر الي أسوان ، ولمن لا يعلم فإن أسوان تبعد عن الأقصر ثلاث ساعات ومن جنة لأخرى سيكون يومهم.

السد العالي كان أولى وجهاتهم.. فلنرَ ماذا يقولون..

يعلو صوت دكتور أدهم:

هو سدٌ مائي على نهر النيل في جنوب مِصر، أنشئ في عهد جمال عبد الناصر وساعد السوفيت في بنائه، ساعد كثيرا في التحكم في تدفق المياه والتخفيف من آثار فيضان النيل.. يُستخدم لتوليد الكهرباء في مِصر.

وعندما انتهى من سرد المعلومات القيمة جدا انتشر الطلبة في المكان متزاحمين لرؤية السد العالي منبهرين بهندسته واندفاع مياهه.

- يا آنسة..

التفتت فريدة :

- نعم.

- سبحان الخالق.. ألم يقل لكِ أحد إنكِ فاتنة يا آنسة؟! ده إنتِ الفراعنة يصحوا من رقدتهم بنظرة منكِ.

ضحكت فريدة فظهرت أسنانها اللؤلؤية كل سِن بجوار الأخرى تساندها وكأنه صف متقن البناء.

ومشى هذا الرجل وهو يتمتم بعبارات على غرار:

- إيه الحلاوة دي..!

جاء صوت أدهم من خلفها:

- ألم يقل لكِ أحد ألا تضحكي للغرباء؟ لن أكون موجودا دائما لأزيح عن طريقكِ من تفتنه ابتسامتك.

قالت فريدة بابتسامة خفيفة يشوبها اعجاب التتبع :

- شكرا يا دكتور لاهتمامك، لكن لا عليك؛ فأنا أستطيع التصرف وحدي.

استنشقت فريدة رائحة الغيرة.، فابتسمت في دلال.

إنها القرية النوبية بتلك البيوت الصغيرة التي يكسوها سمار ينطق بطيبة أهلها، وتلك الحنة السوداء تزين يديها؛ فالزهرة تشبك في الزهرة وعين حورس في أعلى الكف تراقب حاسديها وتمنعهم من الاقتراب أكثر.

وهو من بعيد ينظر ليديها وتلك العين لا تداري أمنيتها التي فُضِحت من جرَّاء التحديق بها، إنه يريد أن يحتضن يديها الصغيرتين، وهي تحملق في الحناء السوداء.

- إنها رائعة.. شكرا لك.

- حمدا لله أنها راقتك يا ست الكل.

وذهبت هي وآية وهدى لاستكمال جولتهن في القرية النوبية.

تتلفت حولها تبحث عنه..

- فريدة.. إنه هناك مع المجموعة الأخرى!

- مَن؟

- ذلك الذي تبحثين عنه.
- دكتور أدهم مع المجموعة الأخرى، أعلم ذلك.
- ولكني لم أقل إن من تبحثين عنه هو دكتور أدهم.
ابتسمت آية بخبث.
مر الوقت سريعا وفي طريق العودة إلى الأقصر لم تستطع فريدة أن تمتنع عن التفكير في أدهم..
(أحبك يا ذات الوجه الملائكي!)..
مرت الأيام سريعا، وكان (الصوت والضوء) هو محطتهم الأخيرة في الأقصر تمهيدا لعودتهم إلى القاهرة.
يعلو صوت الكثير من الفنانين يتحدثون بلسان ملوك الفراعنة، والظلمة تحتل المتحف مثيرة جوًّا من الرهبة والاستمتاع.
بعد انتهاء البرنامج، وفي طريق العودة إلى الحافلة لم تجد هدى وآية، فريدة، حتما ضاعت وسط القطع الأثرية ولن نراها في تلك الظلمة الحالكة، لقد أخفاها أمنحتب عن الأنظار لتروي له ما حدث بعده على مر العصور.
اتجهت هدى نحو أدهم باعتباره المشرف :
- دكتور أدهم.. صديقتنا ضاعت.
واستدركت آية:
- فريدة.. أنت تعرفها يا دكتور.. كانت معنا وفجأة لم نجدها.
قال أدهم في ثبات :
- سأبحث عنها، عودا إلى الحافلة وأبلغا المشرف بما حدث.
- وفريدة..
فجأة وجدت نفسها وحيدة وسط الظلام والبحيرة المقدسة خلفها تروي

لها قصصا لم تسمعها من قبل، وشوشات الظلام تخيفها، يخيل إليها أنها تنادي باسمها :

- فريداااااااااااااا.

* * *

بيشربوا شهد من النيل ويستحموا بنور الشمس.

* * *

إنها لعنة الفراعنة، جعلت تبكي بشدة، حتي ارتبكت تلك النجمة من بعيد فما عادت تعرف أتواسيها أم تضيء..!

ظلت هكذا حتى ربتت يد على كتفها أفزعتها بشدة.

- لا تفزعين، أنا أدهم.
- أدهم.. حمدا الله أنك وجدتني.
- لا تفعلي هذا مرة ثانية، كدت أموت قلقا عليكِ.
- لن أفعل، لن أفعل.

الصافرة والحقائب المكدسة ذاتها، وسط هذا كله تسير هي إلى القطار حاملة قلبها المعبأ بالذكريات الحلوة التي لا تُنسى.

فهناك أدهم الذي قلب عالمها رأسا على عَقِب.

***

وبعد استعمال كريم تفتيح البشرة، عادت بشرة فريدة إلى طبيعتها بعد أن لفحتها شمس الأقصر المتوهجة دائما، وتركت عليها أثرا لا يُرى ولكنه يُحس، فهناك في تجويف القلب أصبح شخص يدعى أدهم يتربع بداخله.

الفصل الرابع

(أحببتُ رجلا من ثلجٍ لمّا أتى الصيفَ ذاب)..

غادة السمان

في المحاضرة .. دوى صوته مهيبا مقاطعا القارئ :

- فلتترجم ما قرأته يا علي .

- أنا أحبك، من فضلك أعطني شرف قبول يدي، سيدي.. أنا آسفة لكل تلك الصراعات التي مررت بها، وآسفة أنني سببت لك هذا الألم كله، لكن صدقني لقد فعلت ذلك دون وعي مِني، هل هذا هو ردكِ؟ نعم سيدي!

دكتور أدهم: المقطع الآخر..

واستمر هذا المنوال حتى انتهت المحاضرة.

وَدَّعَت «فريدة» كلا من هدى وآية لتذهب إلى منزلها حاملة كتبها في يدها، وحقيبتها معلقة على كتفها تشاور عقلها تسقط أم لا .. فجأة اصطدمت بأحد المارة، وسقط كل ما تحمل على الأرض الأسفلتية.

- آسفة ..آسفة جدا ..

ابتسم أدهم :

- لا عليكِ يا فريدة.

- دكتور.. آسفة حقا.

- لا عليك .. هل أنتِ بخير؟

- أنت بخير !!؟

- كالعادة لا تجيدين الإجابة عن الأسئلة.

ضحكت فريدة:

- بخير، أنا بخير.

- لكنك شاحبة للغاية ..تبدين في لون ورق الشجر الذي سقط بفعل رياح الخريف، تعالي سأجلب لكِ كوبا من العصير يجعلك على ما يرام ويعيد اللون إلى وجهكِ.

تلعثمت :

- ولكن...

- لن أقبل أي أعذار.

بعد قليل كان الدكتور أدهم وفريدة يجلسان في كافيتيريا الجامعة يرتشفان من عصير الليمون الأخضر الذي ذابت فيه مكعبات ثلجية ذكّرت فريدة ببيت مكعباتها وهي صغيرة، كانت دوما تهوى بناء بيوت من المكعبات المنمنمة، وعندما كَبُرَت كانت مكعباتها مصدر جرح لأصابع قدميها!

وكان حديثهما عن المكعبات الصغيرة التي كانت لعبة فريدة وهي طفلة؛ فقد كانت تهوى أن تبني بيوتا من المكعبات الحمراء وتضع النوافذ البلاستيكية في الأدوار العُلوية، وأمام المنزل يوجد ذلك الكرسي الهزاز الأبيض.

قالت بأمنيات طفولية

- كنت أتمنى لو أسكن ذلك البيت.

فابتسم متسائلا :

- وهل حققتِ أمنيتك؟

- بالطبع لا، فما عاد يسعني اليوم.

أشعر أن اللون عاد الآن إلى وجهي واستردت عافيتي فلتأذن لي أن أذهب، فلقد تأخرت كثيرا عن المنزل..

وَدَّعها، وقال لها إن الامتحانات على الأبواب وإن عليها أن تجتهد.. ثم ذهب في كلٍّ في طريقه.

بعد أيام انتهت المحاضرات وبدأت رائحة الامتحانات تعبِّق الهواء، رائحة الممحاة البيضاء المختلطة بالحقيبة الجلدية، رائحة الحبر الأزرق

المراق على الأصابع التي تعبت من كثرة الإمساك بالقلمِ، ورائحة كوب الشيكولاتة بالحليب تفوح بين وريقات الكتاب.

***

في اللجنة حاولَت فريدة أن تزيح أدهم عن بالها لتكتب ما حفظته وما تعبت كي تفهمه فأخذت الورقة البيضاء عازمة أن تنسيها لونها.

الاسم: فريدة حسن.

الفرقة: الأولى.

القسم: اللغة الإنجليزية.

المادة: الأدب الإنجليزي.

***

بعد انتهاء آخر امتحان لها كانت أمنيتها الوحيدة أن تراه، اشتاقت إليه وما عادت تستطيع أن تخبئ ذلك عن قسمات وجهها حين يغيب عن عينيها .

غمزت آية فريدة ممازحة

- لقد أتى لقد أتى..

جاء إليها بخطوات متثاقلة يسكنها البرود، شعرت بشحوبه غير المعتاد ومنظاره الشمسي الذي حاول أن يداري به ما رُسم بوضوح على جبهته.

- صباح الخير .. كيف أبليتِ في الامتحان..؟

- ممتاز يا دكتور.

هتفت آية وهدي فيها :

يلا السينما يا (فريدة)..

الفيلم يا فيري..

فودعته سريعا وانصرفا ..

في طريقها تساءلت:

- وداعا ؟! هل قال وداعا ؟! لماذا لم يرد بالمثل أو حتى يقول مع السلامة كما اعتادت منه ؟! لماذا بدا كأنه ليس هو اليوم ؟ هل هي محقة أم أنها تتخيل ؟!

كانت هذه بداية الإجازة وكانت بداية مبشرة حقا..!

فقد تشابهت أيام الإجازة، في الصباح تستيقظ وتفتح نافذة غرفتها فيخطو نور الشمس خطواته الوليدة يلمس مرآة غرفتها، السرير، غطاء السرير المليء بـ(الفيونكات) الملونة، صورتها وهي صغيرة تقف بـ(مريول) المدرسة البني وتضحك ببراءة.

تغسل وجهها من آثار حُلم البارحة ويبدأ يومها..

تأكل وهي تفكر بأدهم.. تشاهد التلفاز .. البطل يشبه أدهم .. إلى حد ما، والدتها تقول لها إنها يجب أن تشترى ساعة يد لأنها لا تعي أبدا مرور الوقت فتتذكر كلمات أدهم وتعود لتتساءل:

- لماذا قال وداعا ؟ لماذا مرَّ أكثر من شهر ولم يحادثها ؟ وعندما حاولت أن تحادثه تجد هاتفه مغلقا دائما، هل هو بخير ؟!

لماذا هذا الصمت يا أدهم؟!

مرت الأيام على تلك الوتيرة .. مع كل يوم يمر يأخذ معه قطعة من قلب فريدة حتى لتجد أن قلبها أصبح كفجوة كبيرة في صدرها، فجوة لا يستطيع أن يملأها سواه.. فجوة تتسع شيئا فشيئا.

القلق حل محله السخط والألم، ثم حل محل الألم الغضب، والغضب ازداد بداخلها وتأججت نيرانه عندما سمعت أخباره من صديقة لها والدها يعمل بالجامعة.

(لقد سافر الدكتور أدهم يافريدة إلى الخارج ليحصل على لقب دكتور ويكمل دراسته.. لقد قال لوالدي إنه سيظل هناك سنوات الدراسة الأربع وربما عاد إلى القاهرة مع شقراء تتكلم لغة عربية
- مكسرة - وضحك..)
لقد سافر دون أن يودعها.. طوى ملابسه التي يحتاجها في رحلة سفره وطوى معها قلب فريدة لتصبح حكايتها بالنسبة له في خبر كان..
رحل مخلفا وراءه فؤادا منكسرا وشفتين تبكي عليهما البسمات، أنامله الخشنة عبثت بحياتها وجعلتها تصدق نظراته الزائفة.. وفي مرآتها المنكسرة رأت فريدة سراب صورتها في قلبه.
رحلت .. وما زال رحيلك في قلبها مُوجِعا، لِمَ رحلت؟ هل لأنك لم تقوَ على البقاء؟! رحلت وطويتها في جيب قميصك مع زعفرانة ذابلة وسمكة لا تجيد استنشاق الهواء! أنسيت وشوشات الأحلام في المساء ؟! أنسيت فرحتك لفرحتها في عصر يوم ما ؟! أنسيت حين أهديتها القمر في حقيبة مخملية بلون الفانيليا ؟!
ترحل..!
ومِقبض الباب يأبى أن يسمح لك بالذهاب، الرصيف ينتحب متذكرا كيف كنت تعملها عقد رابطة عنقك دون أن تخنقك! وهي تكبر في العمر وما زالت لم تنسَ.. مضيت والعتمة تغلف خطاك والأمطار تهطل في استياء.. ومرآة رحيلك تهمهم أن الأمر قد أوشك على الانتهاء؛ فالألوان الباهتة في صورك باتت تتنفس، وهي منعها من استيقافك الحياء..
رحلت.. وتركت ظلك يحرس الأمنيات..!
تمر الأيام والحنين إليه يستوطنها.. !
حنين لبسماته التي ما زالت تتردد حولها عندما ألقى أضحوكة ما، تتذكر

هي تلك الأضحوكة وترددها بين زملائها كل يوم.. وتضحك.. وتضحك لمجرد أنها يوما ما وردت على لسانه.. حنين لتلعثمه عندما رآها وبريق لامع مشتعل في عينيه يفضحه فيحتار بماذا يبدأ: (أهلا) أم (كيف الحال؟).. ، ومن شدة ارتباكه لا يستطيع الاختيار فيصمت.

حنين لحركات يديه عندما يشرح شيئا ما.. فتتظاهر بالغباء حتى ترى يديه تربتان على الهواء برفق وصوته يعلو ليبلغ السماوات ثم يهبط في قيعان البحر ليوقظ سمكة ما كانت غافية على صدفة محار، حنين لغضبه عندما ينطق: (كفى) في عصبية، حنين لنظرة متأرجحة بينه وبينها تخبرها بأنه يحبها ويحترمها ولكن فلتصبر قليلا، فتتساءل عيناها بلهفة: (إلى متى الانتظار؟)، ويقاطعهما حديث الآخرين فتتشتت النظرة وفي قاع العين تسقط... حنين لمناداته كل من حولها باسمها.. فيقولون في غيظ: (ألا يوجد غيرها؟).. فتبتسم ويبتسم وتخجل ويخجل وينكر بصوت خافت أنه أساسا ذكر اسمها، حنين لسؤاله الخفي عنها عندما تطيل الغياب.. فتحمل هاتفها وتحادثه، إلا أنه من فرط خجله لا يرد.. وتفسر ذلك بأنه لا يجيد الرد على التليفونات.

حاولت أن تنسى مرارا، جربت كل شيء تقريبا، جربت أن تبتعد عن كل ركن احتوى يوما ظله، تمتنع عن الحديث معه.. وإذا ذكر أحدهم اسمه تصطنع اللامبالاة، اللامبالاة التي فشلت بشدة في أن تصطنعها أمام نفسها في المرآة.

حاولت وحاولت وما من فائدة.. على الرغم من أنه لم يعدها بشيء ولم تنطق شفتاه يوما بالحب ..

غير أنها أحبته بجنون.. رسمت بداخلها بيتا وأسكنته به وجلست معه كل يوم تخطط مستقبلهما.

ماذا سيكون أسماء أولادهما ؟ هل سيوافق أن يرتدي رابطة عنق بيضاء تليق بفستانها الأبيض.. ووالدتها ستتركه يمسك بكفها أم ستثور عليه بشدة قائلة :

(استنى الفرح يا ابني إحنا ما عندناش الكلام ده دلوقتي) ؟

عندما ترتفع حرارتها وتشعر بالمرض، هل سيسهر الليالي بجوارها يضع على جبهتها القطنة المشبعة بالماء البارد وعندما تتحول برودة القطنة إلى نيران من حرارتها يهرع ليغيرها لها؟!

هل سيتذوق طعم (الملوخية) دون أن يبدي اعتراضه على نسيانها وضع الملح فيها.. ويتقبلها برضا..!

هل ستسمعه يوما يتلو كتاب الله في خشوع..؟ هل ستصلي بجواره وتدعو له في سجودها فيصل دعاؤها إلى مسامعه فيدعو لها بالمثل..؟!

هل وهل... .

تكّات الساعة باتت تزعجها وكأنها تحادثها.. الوقت يمر .. لقد نساكِ!

الفصل الخامس

(أحببتك جدا لدرجة أني حين رأيتك ترحل أمامي
أغمضت عيني بعمق
كنت أحاول إقناع نفسي بأني
أغط في سبات عميق
وأني في الغد سأفتح عيني نحوك
كي أخبرك أني ليلة البارحة
حلُمت بك حُلما مرعبا
ورأيتك في منامي تفارقني)!!

شهرزاد الخليج

نادت والدة فريدة عليها :

- فريدة أين أنتِ ؟
- هنا يا ماما.
- لم أجدكِ في الشرفة كعادتكِ يا عروسة ؟
- عروسة ! من ؟ أنا ؟!
- طبعا ، وأحلى عروسة.
- وكيف ذلك يا ست ماما ؟
- عريس.. ووالدكِ موافق وبشدة وأنا أيضا أجده شابا ممتازا.
- ماذا ؟
- طبيعي يا حبيبتي .. فتاة في مثل عمرك من الطبيعي أن يتقدم لها عريس، خصوصا لو مثلك.
- من هو؟
- ياسين
- من ؟
- ابن عمك يا فريدة ..! فلتفكري جيدا، إنه يحبك ويتمناكِ زوجة منذ وقت طويل وسيعمل على أن يوفر لكِ كل ما تحتاجين إليه وسيسعدك..

في اليوم نفسه كان موعدها مع آية وهدى، سيخرجن معا وتحكي لهما عن هذا العريس، (ياسين) .

بعد الأحضان وشلالات من القبلات هدأن قليلا وجلسن يتحدثن في كل شيء.

«هدى» تشتكي كالعادة من أختها الصغيرة هالة التى لا تسمع كلامها أبدا، وآية تتحدث عن أحمد ابن الجيران.. إنه معجب بها بجنون، ولكن

هي تتفنن في تصنع – التقل- ، وعندما أتى دور فريدة في الحكي حكت لهم عن ياسين، العريس الذي وافق عليه كل من في البيت دون أن تبدي هي أولا موافقتها.

في سعادة بالغة قالت آية:

- لولولوولي.. أخيرا عريس.

وقالت هدي مهنية :

- مبروك ..طبعا انت موافقة ..؟

فردت فريدة بغضب :

- لا لن وافق أبدا.

«فتساءلت هدي :

- لماذا ؟

فقالت فريدة بأسي بالغ :

- وكأنكما نسيتما أدهم.

قاطعتها آية في حزم :

- لكنه سافر وأنتِ تعلمين ذلك ودون حتى أن يخبركِ بسفره و...

قاطعتها هدى:

- وتزوج ، فلتنسِه.. ياسين من أقاربكِ وهو أولي بك ؟

سألت فريدة وكأنها لم تسمع باقي الكلام :

- من تزوج ؟ !

نظرت آية لهدي في غضب : أأنتِ حمقاء ؟!

- فريدة لم تكن تعلم، يا إلهي.. آسفة يا فريدة آسفة.

كررت فريدة الكلام بنبرة حادة غاضبة :

- تزوج ؟! من تزوج ؟ فلتجيبا عن سؤالي أنا لا أفهم شيئا..!

قالت آية:

- صديقتنا التي يعمل والدها بالجامعة.. انتي تعرفيها .. قالت لنا إن دكتور أدهم قد تزوج من زميلته.

قالت فريدة في غضب :

- إنها تكذب.

فقالت هدى:

- ولماذا تكذب علينا يا فريدة وتختلق مثل هذه القصة..؟

فقالت فريدة منكرة الأمر بصوت حاد:

- وأنتما مثلها تكذبان.. كلكم كاذبون..

أخذت حقيبتها الزرقاء وهرولت تبكى..

حاولت هدي وآية أن يلحقا بها ولكنهما لم يستطيعا، لقد أخفتها ملامح الطريق وغطى على بكائها «كلاكس» سيارة كانت مسرعة بجوارها.

***

أدهم تزوج؟! بكل هذه البساطة..!

تزوج لأنه لم يكن يوما يحبها.. توقفت مشاعره عند الإعجاب بها ولم ترتقِ إلى أكثر من ذلك ولم تفهم هي!

أخذت ترسم في داخلها الصور الحلوة والنهايات السعيدة التي طالما شاهدتها في الأفلام والروايات.

إن البطل لم يتزوج البطلة في نهاية فيلمها مع «أدهم»، والنهاية قد أسدلت أستارها فلم يعد هناك تكملة لما شعرت هي به، فعلى كل شيء أن ينتهي الآن.

الفصل السادس

ما حدا بيعبي مطرحك بقلبي

كيف لك قلب تجافي اللي حبك هالمحبة !

ماجدة الرومي

- أنا موافقة.

- ماذا؟

- موافقة، سأتزوج من ياسين.

قالت لها والدتها :

- هل فكرتِ جيدا ؟

- نعم.

- ولماذا تتحدثين بكل هذه الكآبة ؟! هذا فرح وحياة ستبدأ إن كنتِ تعلمين ما أنتِ مقبلة عليه .

- أعلم يا أمي، ياسين يحبني ومثلما قلتِ سيسعدني، وأنا أحتاج بشدة إلى السعادة.

* * *

قالت آية في أسف :

- إنها تلعب بالنار يا هدى، توافق علي الخطبة الآن وهي لم تنسَ بعد..وحالتها النفسية من سيئ إلي أسوأ.. أنا أعرفها جيدا، وماذا علينا أن نفعل ،ننصحها أم نتركها تفعل ما تشاء ونبارك لها ؟

قالت هدي :

- فلنبارك لها هذه الخطبة يا آية ونفرح من أجلها ونجعلها سعيدة، الأيام كفيلة بأن تُنسيها ما فات.

* * *

بعد عدة أيام انعكس اللون الأصفر البراق المميز للذهب على عيني فريدة، وأمامها في – الفاترينة- ظهرت لها تلك الدوائر الذهبية، بأشكالها الكثيرة البسيطة والمليئة بالمنمنمات على أشكال معرجة وأخرى سميكة . كان ياسين سعيدا للغاية وكان كلما اقترب منها مادًّا يديه إليها، تصنعت عدم الفهم وأبعدت يديها بعيدا كأنها تشير له على شيءٍ ما، وكان هو يصمت مقنعا نفسه أنه محظوظ بعروسه الخجول.

قال ياسين :

- مضى أكثر من ساعة يا فريدة وقد رأينا جميع المعروضات، ألم يعجبك شيء ؟

- الكل سواء عندي، لم أستطع التفرقة بينها.

- كيف ذلك ؟

- كلها دوائر ذهبية صفراء فقط لا غير.

- قال ياسين باستغراب:

- عندي الحل.

- وما هو؟

- أختار لكِ أنا ، موافقة ؟

- موافقة.

أخذ يدقق في المعروضات حتى وجد ضالته وأشرق وجهه حتى ضحكت فريدة.

- هذه ستناسبكِ، جمالها نادر مثلكِ.

- ابتسمت في خجل :

- شكرا.

أمسك بإصبعها النحيلة بين يديه ووضع الدبلة الذهبية ونظرا معا إلى

يدها نظرة تحمل جميع المعاني، لقد تحقق حُلم ياسين وعليه أن يبذل ما في وسعه ليسعد «فريدة»، إنه يحبها إلى حد الجنون، في الوقت الذي كانت تنقل فيه فريدة بصرها بين الدائرة الذهبية وياسين الذي تمنته لو كان أدهم !

يا ليتك أدهم.. يا ليتك..!

***

جارة فريدة التي لا تكف عن إطلاق الزغاريد بنفَس طويل للغاية وشربات الورد الأحمر يدور على الجميع.. مصابيح ملونة بجوار بعضها البعض، حمراء وزرقاء وصفراء متشابكة في حبلٍ، تحسب أنه بلا نهاية، الجميع يبتسم في سعادة ..

تنظر لنفسها في المرآة، فستانها الأخضر وحبات اللؤلؤ الذهبية المتناثرة عليه تتمسك بها بشدة، وتلك الطرحة الذهبية التي غطت بها شعرها الأسود أضفت بريقا على وجهها يخطف الأنفاس.

لم تضع الكثير من مساحيق التجميل، فقط القليل هنا وهناك بعد إلحاح والدتها، وعلى الرغم من ذلك ازدادت جمالا.

ابتسامة ملائكية.. وعريس ينتظر ببدلة سوداء وقميص أبيض ورابطة عنق ذهبية تتماشى مع طرحة فريدة الذهبية، والفرح يطل من قسمات وجهه، ينظر لها وكأنه غير مصدق كم هو محظوظ..!

الفرحة في كل مكان، زغاريد وفستان رائع وابتسامة «ياسين» التي تدل على مدى سعادته وحبه لفريدة.. ونظرة – شرانية - في عيني ابنة خالة فريدة تحسدها بشدة على هذا كله ..

كانت فريدة تحاول أن تتقن رسم البسمة، لكنها كانت تفشل فتخرج منها ابتسامات باهتة بلا روح.. تنظر لياسين نظرات خاوية، لا حزينة ولا سعيدة، وكأنها لا تصدق، ترمق الجميع، تحدق في دبلتها الذهبية وتضع يدها على قلبها وتتنهد..!

إنه ليس أدهم إنه ياسين.. ياسين.. ياسين.

حاولي ألا تخطئي في اسمه.

أفيقي، أدهم تزوج ورحل وتركك وحدكِ تعانين فراقه فلتمضي أنتِ الأخرى في حياتك.

أدهم جالس بجوارك الآن بأبهى حلة لديه، يا إلهي ياسين وليس أدهم، لا تخطئي.. لا تخطئي.

إن عينيه تلمعان من الفرح.

- أين ابتسامة العروس ؟

تبتسم بشدة، حتى إنها شعرت بوجع في شفتيها، ألن تنتهي هذه الليلة أبدا ؟!

يغازلها في فرح :

- أحبكِ يا ذات الوجه الملائكيّ.

- أحبك يا أد... يا ياسين.

يتناول كفها في حنان :

- أنتِ جميلة يا فريدتي.

- شكرا، وأنت كذلك.

- أنا ماذا ؟

- مثلي.

- يا إلهي.. قوليها.

- جميل يا ياسين.

- هل لي بطلب؟

- تفضل.

- قولي ياسين ثانية؛ ياسين منك حلوة قوي!!

ابتسمت في خجل واحمرت وجنتيها لتزداد اشراقا ..

رقصا معا على أنغام موسيقى لم تسمع منها شيئا، قطعا قالب الحلوى معا وقبّل يدها أمام الجميع، إنه لطيف للغاية ويحبها، لكنها للأسف لا تحبه. لو أنه «أدهم».. لو..!

انتهي اليوم المتثاقل.. تلاشى صوت الموسيقى العالي جدا، وتدريجيا أصبح المنزل فارغا وعمَّ الهدوء المكان.

جلست على طرف سريرها تخلع حذاءها الذهبي ذا الكعب العالي، مدت يدها إلى الحذاء فلاحظت دبلتها الذهبية المنقوش بداخلها ياسين.

هل وافقت دبلتها أن يتم حفر اسم ياسين بداخلها وليس أدهم؟

وارتضت هي أن ترتديها وتوافق على خطبتها من ياسين وتنسى ببساطة أدهم؟!

أحقا خُطبت؟! هل هذا حدث فعلا؟!

لن يحق لها بعد اليوم أن تفكر في أدهم وأن تستظل بشجرة عجوز تراخت أغصانها حولها تتنفس انتظاره، أو أن تنزل مبكرا من منزلها لكي تجلس في الصف الأمامي لكي تتسنى لها رؤيته وهو يرتب حاجياته قبيل المحاضرة، لن يحق لها بعد اليوم أن تسمح له بزيارتها في المنام، وإن رأته عليها أن تصحو وتستعيذ من الشيطان وكأنه شر لا بد الخلاص منه.

شر لا بد من الخلاص منه..؟!

هل هذا ما أصبح عليه أدهم بالنسبة لي؟

هل عليها أن تنساه، ألا تفكر فيه أبدا، أن تقتلع نبضة القلب الزائدة التي تحبه ؟

أحست بدموعها المالحة تتسرب على وجنتها التي ازدادت حمرة من الانفعال، وضعت رأسها على وسادتها وأخذت تحادث نفسها بصوت خفيض للغاية: (أحبك يا ذات الوجه الملائكي)..

كانت كذبة يا أدهم ؟!

أخذت تتخيله مع زوجته يحادثها عن فريدة تلميذته النجيبة التي وقعت في غرامه، وعندما تشعر زوجته بالغيرة من حديثه عن فريدة

بهيام يقول لها:
أحبكِ يا ذات الوجه الملائكيّ..
تراخت عيناها المبللة واستسلمت للنوم.
أما ياسين فلم يستطع النوم، عيناها الواسعتان تحاصرانه أينما ذهب..
فهي جميلة للغاية، رقتها طغت على كل الموجودات حوله..
(جميل يا ياسين).
يا إلهي، لقد أذابت قلبه قطعة قطعة.
فلقد اختار أجمل البنات، إنه محظوظ بها للغاية، لم يخفَ عليه حزنها المطل من جفونها المحمرة من أثر الدموع وابتساماتها الباهتة، هو يعلم جيدا أنها لا تحبه، لكن هذا لا يهمه، الحب سيأتي بالوقت والعِشرة، وسيبذل ما في وسعه ليسعدها ويعيد إليها البسمة، ويزيح ذلك الحزن الذي افترش وجهها وسكنه.
على صوت هاتفها الذي لم يكف عن الرنين استيقظت من نومها المضطرب تعرف مسبقا بأن ياسين هو المتصل؛ فالشوق في عينيه لا يخفى على أحد ، إنه يحبها كما تحب أدهم.
- ألو.
- صباح الخير يا حبيبتي.
- صباح النور يا ياسين.
- أيقظتك من النوم.. آسف.
- لا أبدا.
- ما رأيكِ لو فتحتِ باب المنزل ووجدتني؟!
- ماذا؟!
- موافقة؟

- موافقة يا ياسين.

- بحبك يا فريدة.

أنهى المكالمة دون أن ينتظر منها ردا.

وجدت نفسها تتهيأ لقدومه وتتزين، تضع الأحمر فوق الخد والكحل فوق العين وتسدل طرحتها البيضاء على شعرها الأسود الحريريّ، وتضع الساق فوق الساق منتظرة إياه أن يأتي.

***

تتكلم معه بسرعة كبيرة تنم عن توترها، تخرج منها الكلمات تتنافس مع سرعة الضوء غير مراعية أن يفهم متلقيها مغزاها.

- أهلا.. كيفك حالك؟ أتمنى أن تكون بخير.

سكتت حين أمسك بيدها.

فتنهد :

- فريدة ..أنا بجوارِكِ ولن أتركِكِ أبدا، تحدثي على مهلك لن أمشي قبل أن أسمع كل كلماتكِ.

- شكرا.

- على ماذا ؟ لأني أحب خطيبتي الجميلة فريدتي حبيبتي وأعدها بما يجب أن يعِد به كل خطيب خطيبته، أن أظل بجوارِكِ.

نظر الي الشرفة وقال : هناك سر، فلتأتي معي إلى الشرفة.

أمسك بيدها المرتجفة ووقف بجانبها في الشرفة، والهواء البارد يجعل أسنانها تصطك، تكاد تخرج من مكانها.

- الجو بارد.

- أعلم ذلك.. فلتفعلي ما أقوله لكِ.

أغمضي عينيك.. دعي الهواء يتهادى بخفة على ملامحكِ.. تذكريني، استعيدي أي صورة لي الآن.

خذي نفسا عميقا.

ضحكت.

- لا أحب هذه الألعاب يا ياسين

- أعطي فقط لنفسك فرصة كي تحبيها.

أغمضت عينيها، حاولت استعادة صورة ياسين، وكلما حاولت استعادة صورته تفشل ومن بعيد في عقلها يتراءى لها أدهم قادما ينظر إليها

والبسمة تزين وجهه.. والهواء يتهادى بخفة على ملامحها.
أخذت نفسا عميقا فإذا برائحة الشتاء وذكريات أدهم تطُل أمام عينيها..
- لا ياسين لا.. لا أحب هذه الألعاب.
- آسف.
خرجت إلى غرفتها مسرعة!!
وتوالت اللقاءات التي يمكن أن نصِفها بالكارثية.
فذات يوم اتفقا على أن يتقابلا في أحد الكافيتيريات التي تطل على النيل، وهي حاولت بشدة أن تكون سعيدة، رسمت تلك الابتسامة الزائفة التي تدل على سعادة كبيرة هي للأسف لا تمتلكها، حاولت أن تعطي لقلبها فرصة لكي يحب ياسين.
وياسين يحاول بكل جهده أن يجعلها تحبه، يتصنع عدم فهم شرودها المستمر، وابتساماتها الباهتة كلما نظرت إليه وعاودت النظر إلى الدبلة التي أمسكت بإصبعها في حذر.
لكن الوقت يطول، هو يحبها لكنها تعذبه لدرجة هي نفسها لن تتخيلها، أن ينام كل ليلة وهو يعلم أن خطيبته لا تحبه ولا يدري ما السبب..
إلا أنه يصبر، ستحبه، هو لديه أمل كبير .
لكن اليوم ضاع كل ما يملك من أمل!
جاءت مبكرا، اختارت بعناية طاولة مميزة تطل على النيل الذي انعكس على صفحة مياهه ذلك النور الذهبي الذي سرقه من الشمس للحظات.
لطالما أحبت النيل..
ذهبت متأنقة وليس من عادتها أن تتأنق حتى تكاد تلمع هكذا، الابتسامة تشع على محياها ببساطة.
نسيت أدهم وقررت أن تبدأ صفحة جديدة مع ياسين، ياسين الذي

تجمعت به كل الصفات الحلوة وحسدتها عليه كل بنت قابلتها، بدءا من جارتها وأقاربها ومن الفتيات التي قابلتهن في الطريق يعرفنها أو لا يعرفنها، هن يحسدنها بقوة على ياسين.

جاء ليجدها تبتسم .. ليست بتلك الابتسامة السخيفة التي تلصقها بشفتيها، وكأنها تشع، لطالما أيقن أنها جميلة ولكنه لم يدرك يوما أنها بهذا الجمال.

جلس أمامها..

- ياسين.. ما بالك تحدق بي هكذا؟!

- هناك شيء مختلف فيكِ اليوم.

- لا أبدا، أنا فقط سعيدة.

- اليوم أدركت أنكِ لم تكوني يوما سعيدة، عندما تكونين سعيدة كل ما حولكِ يكون سعيدا لسعادتكِ، وأنا أول واحد يكون سعيدا لسعادتكِ هذه.

- جئت اليوم أقول لك أشياء كثيرة، فهل تسمعني؟

- وهل أستطيع أن أرفض يا فريدتي؟

- فقالت له وهي تضحك: بالطبع لا.

تنحنحت فأمسك بيدها ليمنحها الدفء والهدوء.

- أولا أنا آسفة على كل ما فعلته، على عبوسي ليلة خطبتنا وعلى هروبي منك كلما حاولت أن تتقرب مني، على أنانيتي معك يا ياسين.. سامحني. ربما كان يشغل تفكيري عنك أشياء لا تستحق أن تشغل بال أي أحد، ولكني أدركت اليوم أن...

ومن بعيد لمحت أدهم يجلس على تلك الطاولة البعيدة ويبتسم لها تلك الابتسامة التي تعلم مغزاها جيدا، شحب وجهها وارتعشت..

- أدهم!

- أدهم ؟! ماذا بكِ يا فريدة ؟ هل أنتِ بخير؟

- لا لست بخير.

وتركته لتذهب إلى أدهم على تلك الطاولة.

ذهبت إليه لتصرخ به أن يكف عن اللحاق بها، أن يتركها لتنساه.

اليوم كانت ستبدأ صفحة جديدة مع ياسين، كانت ستعطي لنفسها ولقلبها المسكين فرصة جديدة كي تحب، وبظهوره هذا أفسد كل شيء.

أخذ الجالس على الطاولة يحدق بها:

عفوا يا آنسة، هل بكِ شيء؟

لم يكن الجالس هناك أدهم..! فقد كان شخصا يشبهه ، تلك الهالة التي تحيط بـأدهم هي نفسها التي تحيط بهذا الرجل، لكنها عندما اقتربت لم تجد ملامح أدهم أبدا.. إنه شخص آخر!

قالت بصوت مليء بالارتباك:

- آسفة، ظننتك شخصا آخر.

وعادت إلى الطاولة لتجد ياسين يحدق بها مطالبا بتفسير لما حدث.

- لقد ظننته شخصا آخر.

- أعلم.. ظننتِه أدهم، ومن هو أدهم هذا؟!

- إنه أستاذي في الجامعة، إنه...

وشرعت تحكي كل شيء..

- لقد فهمت كل شيء يا فريدة، لم أعد في حاجة للمزيد.

باختصار لقد جعل أدهم حياة فريدة جحيما.

لم يجرؤ ياسين على أن يتركها، أوأن يقتلع حبها من قلبه، إنما أعطاها فرصة لكي تنسى.

أيام مرت عليه كالكابوس لا يدري فيها ماذا يفعل، إنه يحبها ولا يستطيع العيش دونها.

حالته السيئة انعكست على كل شيء حوله، في عمله افتعل الكثير من المشاجرات التي لا أساس لها، وفي المنزل أصبحت تصرفاته لا تطاق، طلب أن يأخذ عطلة من العمل وتمت الموافقة عليها باستغراب شديد، فياسين لم يأخذ أي يوم عطلة منذ أن بدأ العمل.

صنع لنفسه كوبا من الشاي الثقيل وجلس في الشرفة يفكر..

إنه يحبها، فضلا عن أنه لن يجد فتاة أصلح منها زوجة له..

أدهم هذا لن تراه مجددا، وإن رأته لن يعني لها شيئا، هو رجل متزوج وهي فتاة تتمتع بزينة العقل، ثم إنه جرحها بشدة؛ لذا مع الوقت ستنساه.

فرغ من كوب الشاي وقرر أن يحادثها ويطلعها على قراره الذي ارتضاه بشدة.

وعندما أطلعها على قراره لم تصدق ما تسمعه، على الرغم من كل شيء لم يتركها.

ردت بفرح :

- لم أتوقع أبدا قرارك هذا.
- أنا أحبكِ يا فريدة وليس من السهل أن أتركِ ببساطة وارحل.

رنت كلماته في أذنها..

- ليس من السهل أن أتركِ ببساطة وأرحل!

الفصل السابع

(عليكِ عزيزتي أن تسترخي.. فتشي بين أحلامكِ عن ذلك الحُلم الذي لم يتحقق، تلك الأمنية التي تتمنينها كل يوم وتهمسين بها لوسادتكِ متمنية أن تتحقق يوما ما..

إليكِ غبار الجنيات فقط.. تمني بصدق وانثريه حولك..
غبار الجنيات.. سيحقق لكِ عزيزتي كل الأمنيات).

أخذت «فريدة» القارورة الذهبية في محاولة مستميتة منها لنسيان أدهم، فهى تريد أن تبدأ صفحة جديدة مع ياسين بلا ذكريات عن أدهم.. بلا ضحكته، كلماته، صورته، نظراته.. بلا أدهم الذي لم تستطع نسيانه أبدا. كلما جلست مع ياسين ضحكت له وكأنه أدهم، ردت على كلامه كأنها تحادث أدهم، مرات كثيرة كادت تناديه باسم أدهم، ما زالت تدعو في صلواتها، تدعو لأدهم في صلواتها بكل خير وتنسى ياسين.. ما ذنبه هذا المسكين ؟!

عندما تنظر لنفسها في المرآة تجده بجوارها يقول :

- (أحبكِ يا ذات الوجه الملائكي).

ما زالت تتردد مدوية في أصداء عقلها.

عندما قرأت الإعلان عن غبار الجنيات في إحدى صفحات الإنترنت وشاهدت القارورة الذهبية يتصاعد منها غبار غريب اللون .. وكأنها وجدت وقتها ملاذها الأخير فيه .

نُقِش على القارورة الذهبية السحرية تلك الكلمات:

(عليكِ عزيزتي أن تسترخي.. فتشي بين أحلامكِ عن ذلك الحُلم الذي لم يتحقق، تلك الأمنية التي تتمنينها كل يوم وتهمسين بها لوسادتكِ متمنية

أن تتحقق يوما ما..
إليكِ غبار الجنيات فقط تمني بصدق وانثريه حولك..
غبار الجنيات.. سيحقق لكِ عزيزتي كل الأمنيات)..
تلاشت ملامحها الضبابية وسط حشد من الدموع الرقراقة التي أخذت في السريان على وجنتيها الورديتين.. لقد وجدت أخيرا أمنيتها.. أسرعت بمسح وجهها بأنامل مرتعشة وحاولت رسم تلك البسمة الشقية المتمردة، إلا أنها لم تستطع فاكتفت بنظرة خاوية لا تنم عن أي شيء.
نظرت للمرآة وهمست:
- يا إلهي.. هذه الملامح كيف تحزن ؟ ضحكت ضحكة هيستيرية أخافتها فسكتت.
(أن تنساه) هذه هي أمنيتها.. سترفع الراية البيضاء غير عابئة باللوم والعتاب، ستلملم شتات تلك الضحكات والدموع والكلمات والسهر والفرح وسترحل، ستجلس على عرش قلبها الخاوي تبتسم كالبلهاء..
من اليوم لن تحاول معرفة ماذا يحب، ماذا يكره، متى يرى ضوء الشمس صباحا، متى يغلب جفنيه النوم.. لن تتذكر نظرات عينيه بعد الآن عندما يضحك .. عندما يغضب وعندما يشعر بالتعب، لن تتذكر حركات يديه عندما يبدأ في التحدث وضحكته الخجول عندما يتلعثم، لن تتذكر تجاهله لها عندما تكون محاطة بصديقاتها، ونظراته المتأرجحة بينها وبينه.
عليها أن تنسى من أجل ياسين ، من أجل خطيبها.
(إليكِ غبار الجنيات.. فقط تمني بصدق وانثريه حولكِ)..
أمنيتي أن أنساه..
تشهق بصدق أكثر:
- أمنيتي أن أنساه.

تعلم أنها لا يمكن أن تكون صادقة..
تصرخ بصوت أعلى:
- أنساه هي أمنيتي.
صمت يختال بين أروقة الكلمات، دموع تضحك بصوت رفيع بلا حياء، وغبار يتساقط حولها جاعلا صورة أدهم تتلاشى ببطء أمام عينيها وهي... تجلس وحيدة تحاول أن تنسى، وعندما يتلاشى صدى أولى نظراته دقيقة وتعود أوضح مما كانت عليه مجرد ذكرى عالقة في ذهنها، وعندما يختفي اسمه من شفتيها تزجرها نبرات الصوت فتعود لتكرر اسمه عشرات المرات غير عابئة بمن سيتهمونها بالجنون، وعندما تقرر أنها لن تحادثه تجد ظله في كل مكان يرجوها أن تسامحه، فهي كانت دوما مسامحة.

(غبار الجنيات يحقق الأمنيات.. لكِ عزيزتي ولكل البنات.. تمني وانثريه حولكِ.. ولكن احذري في الوقت الحالي والآتي.. إذا لم تكوني صادقة فستنقلب عليكِ الأمنيات).

لم تكن فريدة أبدا صادقة في أمنيتها فانقلب عليها السحر .. عادت لتحبه أكثر من أي وقت مضي.. تنتظره، وماذا في ذلك ؟! ستنتظره ساعات وربما سنوات.. لماذا تنتظر حتى يأتي المساء؟ فهي ستبدأ بتأليف الأحلام على ورق الكراسات، ستدعو وتدعو أن يكون لها يوما ما!

لقد انقلبت عليها الأمنيات!
وجهها يكسوه الخجل.. وكأنه تحادثه..!
لكنها وحدها..!

وها قد بدأت الخيالات تلعب بها، تنظر لإصبعها في سعادة.. بالتأكيد تتخيل تلك الدائرة الذهبية .. تحتضن إصبعها، تبدو كالحوريات.. يا إلهي.. لقد جُنّت فريدة..

تمسك بتلك الورقة البيضاء وتكتب بحروف أنيقة:

- ياسين.. آسفة.

(فريدة)

ووضعت على المائدة الخشبية دبلتها الذهبية وانصرفت .

تمت بحمد الله